

## محاضرة بعنوان (تطور ظاهرة الإرهاب الدولي)

الإرهاب ظاهرة صاحبت البشرية منذ القدم، فقد كان له دور مشهود تقريبا في كل أنواع الصراع بين الأفكار والآراء او المجموعات العرقية في التاريخ، وقد عرف العالم الإرهاب في صورته المختلفة منذ أقدم العصور، إلا أنه كشكل من أشكال العنف لم يقترن بالأغراض السياسية إلا مع قيام الثورة الفرنسية والتي أخرجته من اعتباره عملا فرديا منعزلا الى كونه أسلوبا منظما محدد الأهداف والغايات، بل هناك من يرجع ظهور كلمة (رعب، إرهاب، إرهابيين) الى العصور الحديثة وارتباطها بأسماء زعماء الثورة الفرنسية مثل (روبسبير، سان جيسست)، وإرهاب اليوم لا يعدو ان يكون سوى امتداد لإرهاب الامس.

### أولا: الإرهاب في العصور القديمة

تشير البرديات المصرية القديمة عن الصراع الدموي بين الكهنة وصور الذعر والقسوة التي سادت بينهم كما حرمت قوانين الحضارتين اليونانية والرومانية الإرهاب والجرائم السياسية المعادية للأمم، وتشير بعض المراجع الى الأنشطة الإرهابية التي قام بها اليهود وتحديدا طائفة (الزيلوت) ضد الإمبراطورية الرومانية عام (٦٦م) وكانت اول منظمة إرهابية عرفها التاريخ هي منظمة (سيكاري) الدينية في فلسطين والتي شكلها بعض المتطرفين اليهود الوافدين اليها في نهاية القرن الأول قبل الميلاد بهدف إعادة بناء الهيكل الذي سمي (المعبد الثاني)، وذهب الزيلوت في رفضهم للاستعمار الروماني الى حد القيام بأعمال عنف ضد كل ما يمت بصلة الى الإمبراطورية الرومانية مثل ضرب المنشآت العامة وإيقاع الضرر بالقصور والمؤسسات واتلاف المستندات والمحفوظات الخاصة بالإمبراطورية.

وعرف الاشوريون الإرهاب في القرن السابع قبل الميلاد واستخدموا الوسائل الإرهابية ضد اعدائهم مثل قتل الرجال والنساء والشيوخ والأطفال دون تمييز في المدن التي يستولون عليها، كما عرف الفراعنة الإرهاب في عام (١١٩٨ قبل الميلاد) واطلقوا عليه اسم (جريمة المرهبين) حيث كانت هناك محاولة لاغتيال الملك رمسيس الثالث عرفت ب(مؤامرة الجريمة الكبرى)، اما الاغريق فكانت الجريمة السياسية عندهم مرتبطة بالمفهوم الديني وذلك لخطهم بين الالهة التي كانوا يعتقدون بها والبشر لكن هذه النظرة بدأت تتغير بظهور الحضارة اليونانية لينفصل تدريجيا مفهوم الجريمة السياسية عن الجريمة الدينية، واعتبرت الجريمة السياسية تلك التي تستهدف الدولة وبنائها الاجتماعي او ضد سيادة الشعب، ويمكن القول ان المجتمعات القديمة

لم تعرف الإرهاب على صورته الدولية الحالية الا انه كجريمة تبقى جذوره ممتدة عبر التاريخ الإنساني.

ثانيا: الإرهاب في العصور الوسطى

استخدم نبلاء أوروبا في العصور الوسطى عصابات الإرهاب للإخلال بأمن اقطاعات خصومهم، كما عرفت ثورات العبيد الذين كانوا يفرون من مقاطعات اسيادهم ويشكلون عصابات للانتقام والقتل والسرقة وإشاعة الفوضى في ارض الملاك بقصد توزيع الثروة وتمكين الخدم منها.

وفي القرن الحادي عشر ظهرت في الشرق وتحديدا في إيران وسوريا مجموعة دينية عرفت ب(الحشاشين) تنحدر من الاسماعيليين المسلمين وقد أراد هؤلاء الاحتفاظ بمعتقداتهم الدينية وعاداتهم الاجتماعية فاصطدموا بالسلاجوقيين حكام المنطقة في ذلك الوقت الذين أرادوا تصفيتهم فراحوا يزرعون العنف والإرهاب عن طريق اغتيال الحكام والمسؤولين، ولم يتورعوا عن اغتيال أحد الخلفاء المسلمين وتصفية ملك القدس الصليبي (كونراد ذي مونغيرا).

وفي بداية القرن الثاني عشر ظهرت فرق وجماعات دينية وسياسية عديدة مارست الإرهاب أسلوبا للوصول الى أهدافها وكان الشرق الأقصى في تلك الفترة مسرحا لعملياتها ابرزهم مجموعة (الخناقين) في الهند والصين واليابان وكلن أعضاؤها يخنقون خصومهم بشريط مصنوع من الحرير ويعتبرونه قربانا للآلهة، وفي مرحلة التنازع الذي ثار بين سلطة الاباطرة والحكام في أوروبا وسلطة الكنيسة ظهرت شبه مباركة لهم للأعمال الإرهابية التي كانت تقترف باسم الدين المسيحي ولحسابه وهناك الكثير من الأمثلة يمكن ذكرها في هذا الجانب منها (مذابح عيد القديس بارثولوميو).

وعلى الرغم من هذا التاريخ الحافل للمسيحية واليهودية كممارسة فانه لم يحاول أي شخص ان يؤسس على هذا التاريخ نظرية في الإرهاب المسيحي واليهودي ولعله للسبب ذاته لا يمكن لأي عالم ولن يقبل أي استنساخ خاطئ على اعتبار الإسلام دين إرهابي وان الإسلام يستمد مرجعيته من الإرهاب وحكمهم في ذلك مؤسس على ما يسند للحشاشين من أفعال تاريخية، وقد وضعت الشريعة الإسلامية منذ (١٤) قرنا اول تشريع قانوني متكامل يصور الجرائم الإرهابية ويضع لها شروطا واركانا وعقوبات بما يكاد يتفق تماما مع الاتجاه الحديث في موضوع الإرهاب الدولي وتعريفه وتجريمه ورصدت له اشد العقوبات من خلال جريمتي البغي والحراية (أي البروز لأخذ المال او لقتل او لإرعاب على سبيل المجاهرة والمكابرة اعتمادا على القوة مع البعد عن الإغاثة).

## ثالثاً: الإرهاب الدولي الحديث

عرفت العصور الغابرة صوراً من العنف السياسي إلا أن هذه الصور بأشكالها المتعددة كانت بعيدة الصلة عن مصطلح الإرهاب في مفهومه الحالي، ومما لا شك فيه أن تعبير الإرهاب هو من ابتداء الثورة الفرنسية التي اندلعت عام ١٧٨٩ وطرح أفكاراً وايدولوجياً سياسية لها مضامين واضحة المعالم والدلالات، وقد بدأ الإرهاب كنظام استخدمته الثورة الفرنسية على شكل أسلوب عمل سياسي تبنته الحكومة الشرعية اثر سقوط (لويس السادس عشر) وقد مرت فرنسا بمرحلة اليعقوبيين خلال المدة (١٧٩٢-١٧٩٤) وكانت متأثرة بخطب (روبسبير) وكتابات (سان جيست) وأفكار (جان جاك روسو) وتم استخدام الإرهاب كأسلوب للعمل السياسي وصدر مرسوم في ٢٨ آب ١٧٩٢ سمح بمداومة المنازل لنزع الأسلحة من جميع المشبوهين، وتم توقيف ثلاثة آلاف مشبوه بتهمة معاداة الثورة وزجهم في السجون وعرفت تلك الفترة باسم (حكم الإرهاب) وتتحدد تاريخياً في المدة ما بين ١٠ آب ١٧٩٢ وتاريخ سقوط روبسبير عام ١٧٩٤ إلا أن ممارسة الإرهاب بصورة قانونية لم تحصل بشكل علني وواضح إلا ابتداء من ١٠ آذار ١٧٩٣ وعرف عهد روبسبير ابعث عمليات إرهابية حيث قطع فيها رأس (١٤٠) ألف فرنسي وسجن (٣٠٠) ألف آخرين.

وحدث خلال القرن التاسع عشر انقلاب في مركز الإرهاب، فقد انتقل من يد السلطة والدولة إلى أيدي الأفراد والمحكومين في صورة حركتين ثوريتين هما الحركة الفوضوية والحركة العدمية وقد ارتبطت كلا الحركتان بالأفكار الاشتراكية التي سادت في القرن التاسع عشر، واتجهت الحركتان للإرهاب كوسيلة لبث الرعب بهدف تدمير السلطة الحاكمة وزعزعتها وقد انتشرت هذه الحركات في فرنسا وإنكلترا وإسبانيا، وما يهمننا في هذا المجال هو علاقة هذه الحركات بالإرهاب فمع هاتين الحركتين أصبح الإرهاب وسيلة تستعمل ضد الحكومات والسلطات من خلال اللجوء إلى وسائل غير قانونية، ونقطة الاختلاف هنا مع الأيدولوجيا اليعقوبية فيما يخص الإرهاب تتركز في أن الحركة الفوضوية والعدمية لجأت إلى الإرهاب كوسيلة يعتمد عليها المحكومون بصورة غير قانونية ضد الحكام الذين يمارسونها بصورة قانونية فالإرهاب هنا هو إرهاب الضعفاء ضد السلطة الحاكمة لإزالتها والقضاء عليها وهو بذلك إرهاب مضاد.

وعرفت هذه المرحلة ميلاد العديد من الحركات الثورية في أوروبا والتي لا زالت لها انعكاسات على الأنشطة الإرهابية حتى الوقت الحاضر ومن أهمها الحركة الأيرلندية من أجل الاستقلال

والتي بدأت عام ١٨٩١ ونشاط المنظمات الإرهابية التي قامت ضد الاحتلال التركي عام ١٨٩٠ وكذلك حركة إقليم الباسك الاسبانية التي بدأت منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى ولا زالت مستمرة حتى الان، ويمكن القول ان الحركتين الفوضوية والعدمية عملتا على اخراج الإرهاب من اطاره الرسمي الذي تمارسه السلطة الحاكمة الى نوع ثان من الإرهاب غير الرسمي يباشره الافراد، ومع مطلع القرن التاسع عشر رمت الثورة الفرنسية بظلالها على جيرانها في روسيا ومقدونيا وإيطاليا واسبانيا وبصورة خاصة في القارة الامريكية وظهرت في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨١٦ عدة حركات إرهابية كان أهمها مجموعة (كلو - كلوكس) التي اتسمت بالعنف الشديد ضد السكان السود.

#### رابعاً: الإرهاب المعاصر

عرف الإرهاب تطوراً من حيث الطبيعة والمدى في القرن العشرين اذ شهد امتداداً طبيعياً لصورتي الإرهاب الرسمي وغير الرسمي الذين سبق التطرق لهما واضفى بالمقابل نطاقاً أوسع اذ لم يعد محصوراً في إرهاب الأقوياء في مواجهة الضعفاء بمفهومه المحلي بل أصبح يعبر عن العلاقة بين دول ومعسكرات وفي مواضيع أخرى بين حضارات، ويمكن الإشارة هنا الى الإرهاب الشيوعي الذي سبق قيام الثورة البلشفية ووصولاً الى الثورة التي قامت عام ١٩١٧ ، واصبح الإرهاب المنظم وسيلة من وسائل العمل السياسي وفق (لينين) منظر الثورة البلشفية في روسيا واصبح الإرهاب الشيوعي مرحلة تكتيكية يرسمها ويخططها الحزب حتى عام ١٩١٧ ولم تنتهي مسألة الإرهاب السياسي بقيام ثورة ١٩١٧ بل تفاعلت معها وأصبحت قطاعاً لا يمكن نكرانه.

وعرفت الحرب العالمية الثانية الإرهاب من خلال عمليات التدمير والترهيب التي اثارتها في نفوس المدنيين عبر ما استخدم فيها من أسلحة محظورة والتي توجت بإلقاء الولايات المتحدة الامريكية للقنبلتين النوويتين على هيروشيما وناكازاكي في اليابان في آب عام ١٩٤٥ والتي اعتبرت إرهاباً لا يضاهاى، كما استباححت الدول الاستعمارية أقاليم الشعوب الضعيفة فاضطهدتها وجوعتها وعذبتها باسم المدنية وضمن اطر رسمية نظمتها عصابة الأمم من خلال عهدا وعبر نظام الانتداب المفخخ ثم منظمة الأمم المتحدة بنظامها الوصائي ولم يخرج هذا او ذاك عن كونه إرهاباً مقنناً، وعرفت الدول الغربية إرهاب اليمين الذي عرف بالإرهاب الأسود والإرهاب الذي مارسه (منظمة الفهود السود) في الولايات المتحدة ضد البيض المتمسكين بالتمييز العنصري والعرقى، كما ظهر مصطلح الإرهاب الأبيض والذي ارتبط بالتنظيمات الفاشية والنازية في المانيا

وإيطاليا والنمسا والتنظيمات اليمينية المتطرفة في فرنسا، وسارت أمريكا اللاتينية على نفس النهج خاصة في الأوروغواي والسلفادور ضد السلطة الحاكمة الموالية للولايات المتحدة، واتخذ الإرهاب في السبعينات صورا أساسية تمثلت في جماعات سياسية محددة تستخدم العنف المنظم ضد الحكومات وتتحدد استراتيجية تلك الحركات عبر استقطاب الرأي العام من خلال نشر قضاياها.

اما في مرحلة الثمانينات فقد شهد الإرهاب خلالها تحولا خطيرا ليس في استراتيجيته فقط بل كذلك في نوعية القائمين به اذ كانت العمليات الإرهابية عبارة عن عمليات وطنية او داخلية قاصرة على المجموعات في مواجهة السلطة الحاكمة او بالعكس، اما في هذه الفترة فقد تدخلت فيها قوى اجنبية لمساعدة الحركات الإرهابية ضد حكوماتها فأصبح الإرهاب تمارسه مخابرات بعض الدول الكبرى او الصغرى عن طريق عمليات مباشرة تقوم بها القوات الحكومية او الخاصة، وتحولت استراتيجية الإرهاب من مجرد بث الذعر الى احداث التدمير وايقاع الخسائر الكبيرة بالخصم بقصد التأثير على القرار السياسي وإظهار عجز الحكومات في حماية مواطنيها وهو ما يضطر الدولة المستهدفة في الغالب الى اتخاذ إجراءات قمعية مما يوقع الرأي العام تحت الضغط، وتحولت أيضا تكتيكات الإرهاب من العمليات التقليدية والتهديد الى أسلوب جديد في استخدامه قديم في اصله وهو الأسلوب الانتحاري.

وفي عقد التسعينيات من القرن الماضي لم يعد للإرهاب نفس ملامحه الظاهرة اذ تحولت استراتيجيات الإرهاب في هذا العقد بشكل حاد من الدعاية عن طريق الفعل الى التدمير الكامل للخصم او على الأقل الانتهاك المستمر لقوى الدولة، واذا كان الارهابيون في الماضي يسعون الى نشر قضاياهم والتعريف بها عن طريق أفعال مثيرة لجذب الانتباه دون ان تحدث خسائر كبيرة ودون الإعلان عن مسؤوليتهم عن هذه الاعمال حتى لا يفقدوا تعاطف مؤيديها اما الان فانهم في حرب فعلية مع الدولة الخصم ومن ثم هدفهم هو تحطيم تلك الدولة وإحداث اكبر قدر من الخسائر.

وشكلت احداث الحادي عشر من أيلول(سبتمبر) ٢٠٠١ والتي طالت مركزي التجارة العالمي والبنتاغون في الولايات المتحدة الامريكية نقلة نوعية في تاريخ الإرهاب الدولي واخرجت الإرهاب من شكله القديم التقليدي الى ما اصطلح علي تسميته ب(الإرهاب الجديد) وفي ذلك إشارة لذلك الشكل من الإرهاب الذي تحركه الأيديولوجيات العرقية المتطرفة والتي ذاع صيته في التسعينيات

من القرن الماضي والذي يبقى هدفه التدمير، كما تجلت القفزة النوعية التنظيمية للإرهاب الجديد في طبيعة الأسلحة والقدرة الكبيرة والمتقدمة للجماعات الإرهابية والتي فاقت كل التصورات بما فيه عمل المخابرات وخرج الإرهاب من دائرته التقليدية السابقة الى أخرى أكثر حداثة ، كما أصبح الحديث عن شبكات عالمية سرية للإرهاب متعددة الجنسيات ومعقدة التنظيم مما كرس أطروحة ان الإرهاب اضحى الشكل الرئيس للصراع في العلاقات الدولية وبديلا للحروب التقليدية بالنظر الى هامشية تكلفته وفاعلية ضرباته، ومن المفارقات انه في الوقت الذي تعالت فيه الأصوات الغربية بأن الإسلام هو الخطر الجديد على الحضارة الغربية بعد سقوط الشيوعية وان العمليات الإرهابية من توقيع الجماعات الإسلامية المتطرفة والإرهابيين الإسلاميين الهاربين من سلطة بلدانهم كما هو الحال في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والدنمارك وألمانيا لكنها ما لبثت ان انقلبت على تلك الدول كما حصل مع تنظيم القاعدة الذي صنعه الولايات المتحدة لكنه ما لبث ان انقلب عليها وهناك من يرى ان اعتداءات الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ مجرد ذريعة للقرن الأمريكي الجديد وان الولايات المتحدة قد علمت سابقا بهذه التدابير واستدرجت على طريقته او شاركت بطريقة او بأخرى في تنفيذ هذه العمليات في تنفيذ هذه العمليات حتى تشق لنفسها طريقا لتحقيق أهدافها الجديدة عبر أرائها الجديدة وهي مكافحة الإرهاب.